يوم البطل الوطنى جعفر أبو التمنى

طالت ، ولو قصرت يد الأقدار ... لرمت سواك . عظمت من مختار
من صفوة لو قيل أيّ فذّ هم ... لم تعدُ شخصك أعين النظار
لكن أرادت أن تحوز لنفسها ... عين القلادة . فازدرت بنثار
وأرى النايا — بالذى تختاره ... للموت — عاطلة ، وذات سوار
فطوتك فى درج الخلود فعطرت ... بك سالف الأحقاب والآثار
واستنزلتك لغربة ولأنت من ... علياك ، فى لجب من الأنصار
وتجاهلت أن البلاد بحاجة ... لك ، حاجة الأعمى إلى الإبصار
مدت من « الأخرى » إليك معاصم ... من رفقة لك قادة أبرار
خلصاء سعيك فى الجهاد ، وإخوه ... لك فى الوفاء المحض والايثار
ورفاق هذى الدار فيما أسلفوا ... للكاتبين ، رفاق تلك الدار

بكر النعى فما سمعت بمثلها ... عبئاً على الأسماع ، والأبصار
رمت العمايات العيون ، وصكت ... الآذان صافرة من الإنذار
وترنح الأحرار يندر بعضهم ... بعضاً ، بفقدهم أبا الاحرار
لله درك من نقيٍّ ، لم ينل ... أذياله وضر من الأوضار
فى حيث تزدحم الشرور وترتمى ... شبهاتها ، حتى على الأخيار
خاض السياسة ، وانجلى عن لجها ... ألق الجبين ، مكللا بالغار
فى حين رام سواه خوض عبابها ... فطغى عليه فضاع فى التيار
وصليب عود ، حين بعض مرونة ... فى ضعفها خطر من الأخطار
وطرىّ نفس . حين بعض صلابة ... فى عقمها حجر من الأحجار
وخفى كيد حيث يسمو كائد ... ومن المكايد جالب للعار
وصريح رأى لم يحد عن خطة ... ليلوذ عن تأويلها بجدار

حرب على مستعمر وربيبه ومسالم مستعمراً ، ومجار
أعزز علىَّ — أباعزيز — أن أرى حصّار حفلك زائغى الأبصار
خلت المحافل من علاك ، وأوحشت من بعد وجهك ندوة السمار
وتعرت الأنظار عن مستشرف بادى السنا عال على الأنظار
ولقد يعز عليك ، أنك لا ترى فى الأربعاء مواكب الزوار

أأبا عزيز ، كنت تذكى جذوتى ويلذ سمعك منطقى وحوارى
غوث الصريخ ، أتتك تعول حرة حراء ، صارخة ، من الأشعار
هيجت منى أى داء كامن ، وقدحت منى أى زند وار
قسماً بيومك ، والفرات الجارى والثورة الحمراء ، والثوار
والأرض بالدم ترتوى من دمنة ، وتمجه عن روضة معطار
والخيل تزحف لم تدع لمغيرها جثثٌ تغطى الأرض أى مغار
قسما بتلك العاطفات ولم تكن لى من يمين قبلها بالنار
إن الذين عهدتهم حطب الوغى لولاهمو لم تشتعل بأوار
واللاقحين نتاجها بأعز ما ملكت يمين من حمى ، وذمار
والداهنات دماؤهم لم الثرى والمؤنسات شواطئ الأنهار
والناحرين من الضحايا خير ما حملت بطون حرائر أطهار
ما إن تزال حقوقهم كذويهم فى القفر سارحة مع الأبقار
وأعز ما تبغى الجلائل منهم أن تستر العورات بالأطمار

خمس وعشرون انقضت وكأنها بشخوصها ، خبر من الأخبار
ضقنا بها ضيق السجين بقيده من فرط ما حملت من الأوزار
وتجهمت فيها السماء فلم تَجُدْ للخابطين بكوكب سيار
شاخ الشباب الطيبون وجددت فيها شبيبة شيخة أشرار
وبدا على وجه الحفيد وجده للناظرين ، تقارب الأعمار
من كان يحسب أن يمد بعمره حكم أُقيم على أساس هار
ومن الفظاعة أن تريد رعية فى ظل دستور لها وشعار
ما يطلب المأسور من يد آسر إسداء عارفة ، وفك إسار

ورواية حبك الزمان فصولها ... فبدت لنا ممسوخة الأدوار
من شر ما اختلق الرواة ولفقت ... حيل ، وضمت دفة الأسفار
وممثلين تصنعاً ووراءهم ... خلف الستار ، ملقن متوار !

ومفرقين عناصراً ، ومذاهباً ... متكفلين سياسة استعمار
نزلوا على حكم (الغريب!) وعرسوا ... فى ظل مأثمة له وفجار
وتحلبوا أوطارهم ! فاذا بها ... وشل لما استحلى من الأوطار
واستفرش الشعب الثرى ودروبهم ... مفروشة بنثارة الأزهار
وتحلأ الجمع الظماء ووكلت ... أبناؤهم بالورد والإصدار
ذعر الجنوب فقيل كيد خوارج ... وشكا الشمال فقيل صنع جوار
وتنابز الوسط المدل ، فلم يدع ... بعض لبعض ، ظنة لفخار
ودعا فريق أن تسود عدالة ... فرموا بكل شنيعة ، وشنار
ومشى (المغيث) على الجياع يقوتهم ... وعلى العراة ، بجحفل جرار !
وتساءل المتعجبون لحالة ... نكراء ، من هم أهل هذى الدار؟
هى للصحابة ، من بنى الأنصار ! ... من كل «بدرى» ؟ وكل «حوارى» !
للحاكمين بأمرهم عن غيرهم ... ولصفوة الأسباط والأصهار
من كل غاز شامخ فى صدره ... زاهى الوسام ، مدوخ الأقطار
هى للذين لو امتحنت بلاءهم ... لعجبت من سخرية الأقدار
هى للذى من كل ما يصم الفتى ... كاسٍ ، ومن جهد يشرف ، عار

وبسلط لسلطين ، مشت به الأهواء ، مشية مثقل بخمار
نسى المعير ، ولو تذكر لا ثنى ... خزيان من ثوب عليه معار
كم رام غيرك مثلها فأحله ... نزق الغرور بشر دار بوار
بل لو تذكر ، لم يجد لضميره ... ومصيره ، عوناً من التذكار
لم يبق إلا أن تتم خطوه ... ويظل يلعب لاعب بالنار
فلربما نفت الشكاة ، وقربت ... يوم الخلاص ، سياسة الإصرار

أأبا عزيز والحديث — كما رووا — شجن وحر القول عذب جار
ومن العواطف ما يثور ويغتلى مثل الجحيم ، ويرتمى بشرار
عفواً ، وإن شط المدى عن غايتى ونبت جياد الشعر عن مضمارى
فلقد تحشّدت البواعث واشتكت صمت القريض ، لفحله الهدار
ولقد عهدتك بالبلاد وأهلها جم الشجون ، موزع الأفكار
ووجدت قدح الذكريات شجية برداً لأفئدة عليك حرار
وعرفت أشحاناً يثيرك بعثها فأثرتهن ، فطرن كل مطار

إيه ، شباب الرافدين ومن بهم يرجو العراق تبلج الأسحار
الحاملين من الفوادح ثقلها ليسوا بأنكاس ولا أغمار
والذائدين عن الحياض إذا انتحت كرب ، ولاذ مكابر بفرار
والباذلين عن الكرامة — أرخصت — أغلى المهور ، وأفدح الأسعار
الفقر ! إذ طُرُق الغنى مفتوحة والبؤس إذ غدق النعيم جوارى
ومؤججين نفوسهم وقلوبهم شعلا يسير على هداها السارى
والحابسين زئيرهم بصدورهم فاذا انفجرن به ، فأى ضوارى
والقانعين من الحياة برخية بلماظة ، ومن الكرى بغرار
والمغريات مراودات ترتجى وتخيب ! من عُون ومن أبكار
يرثون للمتفيئين ظلالها علماً بما شريت به من عار
لا تيأسوا ، إن لم يلح من ليلة فجر ، ولم تؤذن بضوء نهار
فلئن صليتم من هنات جمرها ومشيتم منهن فوق شفار
فطوال ضائقة الأمور وإن قست فى شرعة التاريخ جد قصار
لا بد أن يشب الزمان وينثنى حكم الطغاة مقلم الأظفار
وتجدد الأيام عهد وصالها من بعد إعراض لها ونفار
فهناك سوف يكون من زهراتكم أصفى معارفها وأطيب جار
وهناك سوف يرى الغنيمة معشر أن يمسكوا من خلفكم بغبار
فحذار من عقبى القنوط حذار وبدار ! للعهد الجديد بدار

[بغداد] محمد مهدى الجواهرى